مسائل نافع بن الأزرق بين الحقيقة والأسطورة

عباس علي حسين الاوسي
تربية ميسان
د . مؤيد فيصل ربيع
كلية القانون ــ جامعة كربلاء

التمهيد :

ابن عباس:

حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، فكان عمره عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ثلاث عشرة سنة ، وقد دعا له الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله : (اللهمّ علمّهُ الكتاب والحكمة)[1] .

لازم بيت النبوة ،وربّاه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فأحسن تربيته ، وكان من المتفانين في ولائه ، ومن أبرز تلامذته ، قال : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب)[2] وله مواقف مشهودة مع امير المؤمنين (عليه السلام) في جميع حروبه : صفين ، الجمل ، النهروان[3] .

وهو القائل : إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ! الذي كان فيه

(١) تفسير الثعالبي : ١/ ٥٦ ، و ينظر أسد الغابة لابن الأثير٣/١٩٢- ١٩٥، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني : ٢/٣٣٠ – ٣٣٤ .
(٢) تفسير الثعالبي: ١/١٤١.
(٣) ينظر أسد الغابة:٣/١٩٢- ١٩٥، الإصابة : ٢ ٣٣٠ – ٣٣٤.

فصـــل الخطاب) ، وقوله أيضا : (يوم لخميس وما يوم الخميس)، إلى غير ذلك مما لا حصر له[٤] .

وكـــان الأئمة (عليهم السلام) يحبونه حباً جماً ، ويعظّمون شأنه ويشـــيدون بذكره ، فقد روى المفيد في كتابه (الاختصاص) بإسناده إلى الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال : (كان أبي يحبه حباً شديداً وقد كـف بصـره بعد واقعة الطف سنة (٦١هـ)؛ لكثرة بكائه على مصـائب أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي رواية أخرى أنه كف بصره قبل وفاته بسنة [٥] .

وقـد ذُكـرت أحـاديث تتضمن قدحاً فيه ، وهو أجلّ من ذلك ، وبحث النقاد عن روايات القدح ، لا سيما رواية هروبه ببيت مال البصرة ، وتعـنيف علي (عليه السلام) له لفعله ذاك ، فخرجوا بدلائل الوضع ، وحمـل هـذا الجـرح بعد تضعيف الإسناد على الحسد ، وقد صدر عن الحاسـدين الحاقدين عليه ؛ كان الرجل ممقوتاً عند رجال السلطة الحاكمة الأمويـة ، إذ كان يجابههم بصراحة وصرامة ، وكان من الخمسة الذين يلعـنهم معاويـة فـي قـنوته، وهم علي والحسن والحسين وابن عباس والأشتر[٦] .

وانـه لم يبرح البصرة حتى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ، وكـان مـن المحرضين لبيعة الإمام الحسن (عليه السلام) ، وبعد أن تم الصـلح اضطر إلى لمغدرة إلى بيت الله الحرام، وقد توفي الله بالطائف سنة (٦٨هـ) [٧]

(٤) ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢/٥٤-٥٥

(٥) ينظر بحار الأنوار :٨٩/١٠٥ .

(٦) ينظر التحرير الطاووسي لشيخ حسن بن زين الدين : ٣١٢ – ٣١٧ ، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد :١٥/٩٨

(٧) ينظر قاموس الرجال : ٦/٢-٦٥

منهجه في التفسير :

لم تمض السنوات العشر بعد وفاة الرسول ، إلا ونراه قد تفرغ للتفسير واستنبط معاني القرآن ، وقد حدّد معالم منهجه في التفسير بقوله : (التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله) (١).

وفي رواية عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسّره العرب ، وتفسير تفسّره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله) (٢)، وفي ضوء هذا التقسيم الرباعي اعتمد في تفسيره على :

١- النظر في القرآن نفسه لتوضيح الآيات بعضها ببعض ،من ذلك ما رواه السيوطي بأسانيده إلى ابن عباس في قوله تعالى : (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)(غافر :١١) ، قال: كنتم أمواتاً قبل أن يخلقكم ، فهذه ميتة ، ثم أحياكم ، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه حياة ، فهما ميتتان وحياتان ، فهو كقوله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة : ٢٨)(٣).

---

(١) جامع البيان للطبري : ٢٦/١ ، وينظر مجمع البيان للطبرسي : ٤٠ ١

(٢) المصدر نفسه .

(٣)المصدر نفسه: ٢٤/ ٣١ ، والدر المنثور للسيوطي ٣٤٧/٥ ، وينظر مجمع البيان: ٨ / ٤٢٨ ؛

٢- مراعاة أسباب النزول : فلها دورها الخطير في فهم معاني القرآن ؛ إذ نـزلت الآيات والسور نجوماً ، في مدد وأمور مختلفة ، فترتبط الآية ارتـباطاً وثيقا بهذه المناسبة الخاصة ، فكان يتحرى أسباب النزول بدقة متناهية ، فعرف الحضري من السفري ، والنهاري من الليلي ، فيم انزل وفيمن أنزل ، وأول ما نزل وآخر ما نزل[١].

٣- اعتماد المأثور من التفسير المروي : من ذلك ما اثرعن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وآله (عليهم السلام) وأصحابه المنتجبين ، ومـا قولـه : (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب)[٢] ،إلا إشارة واضحة لهذا الاعتماد .

٤- اضطلاعه باللغة والأدب :

القـرآن الكريم قمّة اللّغة العربية فصاحة ، وبلاغة ، وتنوعاً في الـلهجات ، فقد يحتاج العربي من بيئة لغوية ما إلى تفسير بعض الألفاظ والتعـبيرات ودلالتها ، كذلك أصحاب الفرق السياسية والمذهبية ، فكانوا يبحثون فيه عن نصوص تؤيد ما يذهبون إليه من معتقدات .

وكـان ذلـك منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فقد كان المسلمون يسألونه عما يُغرب عنهم من دلالات بعض ألفاظ القرآن الكريم ، مـن ذلـك ما روي عن ابن عباس ، أنه قال : (سأل رجل رسول الله (صـلى الله عـليه وسـلم) ، قال : (أرأيت قول الله : (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ)(الحجر:٩٠) ، قال : (اليهود والنصارى) ، قال : (الَّذِينَ جَعَلُوا

(٤)ينظر الإتقان للسيوطي :١/٥١-٥٧ و ٦٠-٦٤ و ٦٨-٧٦

(١) تفسير الثعالبي: ١/٤١.

القُرآنَ عِضين)(الحجر: ٩١) ، قال : (آمنوا ببعض وكفروا ببعض).) [١].

ومثّل التفسير اللغوي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) اتجاهاً رئيساً ، منه ما روي عن ابن مسعود قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ)(النحل١٢٠) ، فقال : (الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله ولرسوله)[٢] ، وفي قوله تعالى:(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ)(آل عمران) ، قال : (الربيون : الألف)[٣] ، وفي قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (التوبة:١١٤)، قال: أواه : الدعاء)[٤] وفي قوله تعالى : (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ)(المطففين:٢٥) ، قال : (الرحيق الخمر)[٥] ، ومنه قوله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)(النحل:٧٣) ، قال : (الحفدة : هم الأصهار)[٦] .

أمّا ابن عباس فقد برع فيه كثيراً ، ويعد أبرز الصحابة في تفسير غريبه ، وهو من سمّاه (غريب القرآن) ، قال : (إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فانّ الشعر ديوان العرب)[٧] .

---

(٢) الدر المنثور : ١٠٦/٤ .

(٣) الكشاف للزمخشري : ٣٤٨/٢.

(٤) جامع البيان : ٢٦٦/٧.

(٥) المصدر نفسه : ٥٢٣/١٤-٥٢٤ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٠-٦٧.

(٧) المصدر نفسه: ٩٧/١٤.

(١) إيضاح الوقف والابتداء : ٦٢/١. وينظر المستدرك للحاكم النيسابوري ٢/ ٤٩٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤/١ .

وما سُمّي غريباً يمكن الوقوف على دلالاته بالرجوع إلى المعاجم وكتب اللغة والأدب ودواوين الشعر القديم ، فغرابته تعود إلى أسباب منها :تنوع مجالاتها الدلالية نتيجة تطورها التاريخي واستعمالاتها المجازية ، والمعاني المستحدثة لهذه الالفاظ والنكت اللطيفة التي تضمنتها ، أو نتيجة الاختلاف اللهجي .

مسائل نافع بن الأزرق :

يعدّ ابن عباس أوّل من توسّع في استخدام الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم ، فها هو يقول : (إذا سألتموني عن القرآن فالتمسوه في الشعر ، فان الشعر ديوان العرب) [١] .

وكان ذوقه الأدبي الرفيع ، وثقافته اللغوية العالية ، الدافع له في استخدام هذه الوسيلة ببراعة عند تفسيره ، وشرح غريب مفرداته ، قال عطاء : (ما رأيت قطّ أكرم من مجلس ابن عباس أكثر علماً وأعظم خشية ، وان أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القران عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم في واد واسع) [٢] .

ولعلّ أشهر ما اثر عنه من باب اضطلاعه بغريب القرآن واستعانته بالشعر في تفسيره ، ما عُرف بمسائل نافع بن الأزرق ، فقد ظهرت منها

(٢) إيضاح الوقف والابتداء : ١ / ٦٢

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة : ٤/٦٢

قطعة في(إيضاح الوقف والابتداء)[1] لابن الأنباري ، و(المعجم الكبير)[2] للطبراني.

وقام محمد فؤاد عبد الباقي بطبع هذه المسائل في كتابه (معجم غريب القران)[3] ، ثم حققها الدكتور إبراهيم السامرائي ، وأصدرها في كتابه (سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس) وبلغ مجموعها فيه مئتين وخمسين سؤالاً ، وحققتها الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، وضمنتها في كتابها (الإعجاز البياني للقران الكريم) [4].

ونافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري أبو راشد رأس الازارقة الخوارج واليه نسبتهم ، وكان أمير قومه وفقيههم والى الإمام علي (عليه السلام) إلى أن كانت قضية التحكيم بين الإمام علي (عليه السلام) وبين معاوية، وفي زمن يزيد بن معاوية قتل إلى جنب عبدالله بن الزبير ، ثم تركه لموقف ابن الزبير المؤيد سيرة عثمان بن عفان ، وقد قُتل في معركة الدولاب في الأحواز سنة (٦٥هـ) [5] .

ما حقيقة المسائل ؟

إن الاستعانة بالشعر في تفسير غريب القرآن الكريم ظهرت عند الصحابة ممّن سبقوا ابن عباس ، إذ نقلت المصادر روايات كثيرة تؤكّد هذا المنهج في توضيح ما يشكل عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ، قال أبو

---

(٤) ينظر : ١/٧٦-٩٨.

(٥) ينظر : ١٠/٢٤٨-٢٥٧.

(١) ينظر : ٢٣٤-٢٦٢

(٢) ينظر: ٢٦٧ – ٥٠٧ .

(٣) ينظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ١٣٦ ، والأعلام:٧ /٣٥١

بكـــر بن الانباري : (جاء عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتـــابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن الكريم وشكله باللغة والشعر ما بيّن صحة مذهب النحو بين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عـــليهم)(١)غير أنّ هذه الظاهرة قد برزت جلياً في التفسير المنقول عن ابـــن عباس أكثر مما هي عليه عند من سبقوه ، وقد دفع ذلك الواضعين إلى الـــتزيد في وضع الروايات ونسبتها إليه ، أو خلط الروايات المنقولة عـــن غيره مع ما نقل عنه ، قال أجنتس تسيهر : (وبذلك المبدأ المنسوب إلى ابـــن عـــباس ، اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة)(٢).

فالمســـائل فيهـــا شيء من الغرابة ، وجملة من الأدلّة التي تقوّي الشكوك في صحتها بالصورة التي رواها السيوطي في إتقانه ، والصنعة والتكلف الباد بين في نسجها ، منها :

١.كـــان نافع بن الأزرق فقيه قومه ونسبة فرقة الأزارقة الخارجية إليه ، والعرب أمّة شعر ، والقصائد شاردة بين القبائل ، وفيها يلجأ الشعراء إلى اللغة العربية الفصيحة العليا أي النموذجية ، فكيف يخفى على ابن عباس وهذا الفقيه ما ذُكر من أبيات؟ وما سؤاله ابن عبس إلا تعنتاً لا تفهماً ، وليست في غريب القران.

٢.ان المســـائل التي رويت في صحيح البخاري ، وإن لم يذكر اسم نافع فيهـــا كـــانت أسئلة في المحكم والمتشابه ، فقد نقل عن المنهال عن سعيد قولـــه : (قال رجل لابن عبس: إنّي أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ،

(٤) إيضاح الوقف والابتداء:١ /٦١

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي: ٩٠

قال : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (المؤمنون:١٠١)(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (الطور:٢٥)(ولا يكتمون الله حديثاً)(النساء: من الآية٤٢)(ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)(الأنعام:٢٣) ، فقد كتموا في هذه الآية ، وقال : (أم السماء بناها)(النازعات: من الآية٢٧) إلى قوله: (دحاها)(النازعات: من الآية٣٠) ذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال: (أئنكم لتكفرون بالذي) أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين)(فصلت: من الآية٩) إلى (طائعين)(فصلت: من الآية١١) ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، وقال تعالى : (وكان الله غفوراً رحيما)(النساء: من الآية٩٦) (عزيزاً حكيماً)(النساء: من الآية٥٦) (سميعاً بصيراً)(النساء: من الآية ٥٨) فكأنه كان ثم مضى ، فقال : (فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله فلا انساب بينهم عند ذاك ، ولا يتساءلون ، وأما قوله : ما كنا مشركين ولا يكتمون الله فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، وقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين فختم الله على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً وعنده يود الذين كفروا الآية ، وخلق الأرض في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ذلك قوله : دحاها ، وقوله : خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة

أيام وخلقت السماوات في يومين ، وكان الله غفوراً سمى نفسه ذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد فلا

يختلف عليك القرآن فإنّ كلا من عند الله)(١)، وروي في ذلك أيضا أن ابن عباس كان يوما في المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق،إذ اقبل عمر بن أبي ربيعه، فاستنشده ابن عباس ، فألقى عمر بن أبي ربيعه رائيته المشهورة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

فلما أتى على آخرها غضب نافع وقال لابن عباس:(الله يابن عباس إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد ونسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ويأتيك غلام من مترفي قريش فينشدك...)(٢) ، فسؤاله عن الحلال والحرام ، وليس عن الغريب مع ما في الرواية من تناقض إذ أن سؤاله في الحقيقة ليس عن جهل أو إفادة، بل لإحراج ابن عباس وإفحامه واستظهارا لمذهبه، وقد ارتبط تأويل القرآن والخلاف حول المحكم والمتشابه بالخلافات السياسية والعقائدية،ويؤكد ابن عبس وقد (ذكر عنده الخوارج وما يلقون عند القرآن، قال: يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه)(٣) ، أي يقيمون حدوده وفرائضه ، ولكنهم لايعرفون منسوخه وتأويله.

وروي أن ابن عباس ذكر يوما الهدهد، فقال: يعرف الماء في الأرض فقال نافع بن الأزرق:قف قف يا بن عباس كيف تزعم أن الهدهد يرى

---

(١) صحيح البخاري: ٣٦/٦ ، وينظر تفسير القرطبي : ٤ / ١٢ هامش (٣) .

(٢) الأغني لأبي الفرج الأصبهاني: ٧٢/١-٧٣

(٣) جامع البيان:١٩٨/٦

الماء من تحت الأرض وهو ينصب له الفخ فيذر عليه التراب فيصاد؟ ، فقال ابن عباس: لولا أن يذهب هذا فيقول كذا وكذا، لم اقل له شيئا ان البصر ينفع ما لم يأت القدر ، فإذا جاء القدر حال دون البصر، فقال ابن الأزرق:لا أجادلك بعدها في شيء (٤) . فابن الأزرق ممن(تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب وترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم إذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله، وجعلوه محكما وجعلوا المحكم منشابهاً) (٥) .

وذكر الخطيب البغدادي أن نافع بن الأزرق جاء(إلى ابن عباس ، فقال : والذي نفسي بيده لتفسرن لي آيات من كتاب الله عزّ وجلّ أو لأكفرن به، فقال ابن عباس: ويحك أنا لها اليوم أي آي؟ قال:اخبرني عن قول الله تعالى: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم)(المائدة:١٠٩) وقال في آية أخرى: (ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله))القصص :٧٥) فكيف علموا وقد قالوا: (لاعلم لنا)؟ اخبرني عن قول الله تعالى: (ثم أنكم اليوم تختصمون) وقد قال (أتختصمون) وقال في اية أخرى : (لا تختصموا لدي)(ق :٢٨) فكيف يختصمون؟ وقد قال : لا تختصموا لدي، واخبرني عن قول الله تعالى :(اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد ارجلهم)(يس:٦٥)، فكيف شهدوا وقد ختم على الأفواه ، فقال ابن عباس: ثكلتك أمك يابن الأزرق أن للقيامة أحوالا وأهوالا.... أما قوله تعالى: (ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)(الزمر:٣١)، فهذا وهم بالموقف يختصمون ، فيؤخذ للمظلوم

(٤) ينظر كشاف الخفاء:٨٣/١

(٥) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في التفسير:١٤٣/١٣

من الظالم ، وللمملوك من المالك، وللضعيف من الشديد ، حتى يؤدى كلّ ذي حــقّ حقّــه فإذا أدي إلى كلّ ذي حقّ حقّه أمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فما أمر بأهل النار إلى النار اختصموا ، فقالوا: ربنا هــؤلاء أضلونا... فيقول الله تعالى : (لا تختصموا لدي).) (١) ، ونقل عــبد الرزاق عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين قوله: (خاصم نافع بــن الأزرق ابن العباس فقال:هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعــم، ثــم قــرأ(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) (الروم:١٧) المغــرب و الفجر و(عشيا) (الروم:١٨) العصر (وحين تظهرون) (الروم: ١٨) لظهر قال : (ومن بعد صلاة العشاء) (النور:٥٨) .)(٢) .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة(أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: تزعم أن قومــا يخــرجون من النار، وقد قال الله عزّ وجلّ: (وماهم بخارجين منها)(المائدة:٣٧)؟ ، فقال ابن عباس: ويحك أقرأ ما فوقها هذه للكفار)(٣) وذكــر ابن جرير في موضع آخر أن نافع بن الأزرق خاصم ابن عباس في (الورود) (فقال ابن عباس: الورود: الدخول ، وقال نافع:لا ، فقرأ ابن عــباس: (انكــم ومــا تعــبدون مــن دون الله حصــب جهــنم أنتم لها واردون)(الأنــبياء:٩٨)، أورود هو أم لا؟ وقال: (يقدم قومه يوم القيامة فــاوردهم النار وبئس الورد المورود)(هود:٩٨) ، أورود هو أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع)(٢).

)١) تاريخ بغداد : ٢٩٩/١٢

(٢):المصنف : ١/ ٢٥٤

(٣)جامع البيان : ٣١٠/٦

(١) المصدر نفسه : ١٣٦/١٢

وفي (المستدرك) نقل الحاكم النيسابوري مسألة الهدهد ، والصلوات الخمس ، و(هذا يوم لا ينطقون)(المرسلات: ٣٥) ، و(فلاتسمع إلا همسا)(طه:١٠٨) و(أقبل بعضهم على بعض يتساءلون)(الصافات :٢٧)، (هاؤم اقرؤوا كتابيه)(الحاقة:١٩) (١) ، وفي (سبل السلام) وردت مسألة الملامسة وفسرها ابن عباس بالجماع(٢) ، وجميع ذلك في المتشابه ولم يستشهد فيه ابن عباس بالشعر.

٣- الخلط بين الروايات، فقد نسب إلى ابن عباس ونافع ما ليس لهما من ذلك، ما ورد في (التوحيد) أن ابن عباس كان يحدث الناس فقال له نافع بن الأزرق : (يا بن عباس تفتي في النملة والعملةصف لنا إلهك الذي تعبده، فاطرق ابن عباس إعظاما لله عز وجل، وكان الحسين بن علي(عليهماالسلام)جالسا ناحية، فقال: إلى يابن الأزرق ، فقال: لست إياك اسأل ، فقال ابن العباس

: يابن الأزرق انه من أهل بيت النبوة،وهم ورثة العلم فاقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين فقال له الحسين:يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في ار تماس، مائلا عن المنهاج ضاعنا في الاعوجاج صالا عن السبل قائلاً غير الجميل يابن الأزرق اصف الهي بما وصف به نفسه واعرفه بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو قريب غير ملتصق وبعيد غير منقص يوحد ولا ببعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لااله إلا هو الكبير المتعالي) (٣) وشبيه هذا منسوب

)٢) ينظر: ٥٧٣/٤

)٣) ينظر سبل السلام لابن حجر العسقلاني:٦٦/١

(٤) التوحيد للصدوق:٨٠

إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع اليهود.(١) وروى الصدوق أن نافع بن الأزرق سأل (أبا جعفر -عليه السلام- فقال:أخبرني عن الله متى كان ؟ فقال:متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولايزال فرداً صمدا لم يتخذ صاحبة ولاولدا) (٢) ، ويبعد هذا؛ لأن الإمام محمد الباقر(عليه السلام) ولد سنة (٥٦ هـ) (٣) ، فكان عمره (عليه السلام) عند مقتل نافع بن الأزرق (٦٥ هـ) خمس سنوات ووالده الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان موجودا فقد توفي سنة (٩٥ هـ) (٤) ، فكيف يكون إمام عصره ويسأل والأماد زين العابدين حي؟ وروى ابن جرير الطبري أنّ نافعاً قال لابن عباس: (تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى: (وماهم بخارجين منها)(المائدة:٣٧)، فقال ابن عباس ويحك، اقرأ ما فوقها هذه للكفار) (٥) ، أما القرطبي فقد نسب هذه الرواية إلى جابر بن عبد الله بقوله:(قال يزيد الفقير قيل لجابر بن عبد الله إنكم أصحاب محمد تقولون:إن قوماً يخرجون من النار والله تعالى يقول: (ماهم بخارجين منها) فقال جابر :إنكم تجعلون العام الموطأ والخاص عاما إنما هذا في الكفارخاصة) (٦) .

)٥) ينظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني:١٣/٣٠١

(٦)الكافي: ٨/٨٨ .وينظر التوحيد ٦٣٧ . وروضة الواعظين للفتال النيسابوري:٢٠٤ وبحار الأنوار:٣٣/٤٢٥

(١) ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر لعسقلاني:٩/٣٥١

(٢) ينظر المصدر نفسه :٧/٢٦٨

(٣) جامع البيان:٦/٣١٠ وينظر در المنثور:٣/٧٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن :٦/١٥٩

٤- تناقض الروايات في المعلومة في المسألة الواحدة من ذلك ما نقله ابن جريـــر (عن ابن عباس قال:كل القرآن اعلمه إلا حنانا والأواه والرقيم) [١] وقـــال السيوطي: (اخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير انه سئل عن قولـــه تعالى: (وحناناً من لدنا)(مريم:١٣)، فقال : سألت عنها ابن عبس فـــلم يجـــب عنها شيئا) (٢) . وفي موضع آخر نقل السيوطي في مسائل نافع أن ابن عباس قال: (رحمة من عندنا، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ ، قال:نعم ، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

يا منذر ملئت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض ؟) (٣)

فـــأين كـــان ابن عباس من هذا البيت لطرفة عند سؤال سعيد بن جبير؟ وعـــند سواله عن(الوسيلة)(المائدة: ٣٥) ، (قال سفيان الثوري عن طلحة عـــن عطـــاء عن ابن عباس: القربة) (٤) أما في المسائل فقد (قال نافع: يـــابن عـــباس ، اخـــبرني عن قول الله عز وجل: (وابتغوا إليه الوسيلة) الحاجة ، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول:

أن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي ؟) (٥)

---

(٥) جامع البيان:١٥/١٩٩ وينظر المصدر نفسه:١٦/٥٦

(٦) الإتقان:١/٣٠٤

(٧) المصدر نفسه ١/٣٤٩

(١) تفسير ابن كثير:٢/٥٥

(٢) الإتقان:١/١٢٠

وفـــي قوله تعالى: (لافيها غول)(لصافات :٤٧) قال : (صداع) (١)، أما في المسائل فقد قال: (ليس فيها نتن ولاكراهية كخمر الدنيا) (٢) ، وورد فـــي صـــحيح البخاري عن ابن عباس (سميا مثلا) (٣) ، وفي المسائل (قـــال:أخبرني عن قوله تعالى : (هل تعلم له سميا)(مريم:٦٥)، قال: ولدا أما سمعت قول الشاعر :

أما السمي فأنت منه مكثر والمال فيه نغتدي وتروح) (٤)

وفي (لسان العرب) أن أبا حمزة روى (عن ابن عباس(رضي الله عنهما) في قوله تعالى: (بنين وحفدة)(النحل:٧٢). قال: من أعانك فقد حفدك) (٥)

وفي لمسائل أن (حفدة) هم (ولد ولد) (٦) .

٥- كثرة الوضع ، لأجل انتشار بضاعة هؤلاء الوضاعين ، وهي دلالة على علو شأن ابن عباس بين المسلمين ، أو لأغراض سياسية ؛ لمداراة أربـــاب الحكم العباسيين وتقربا منهم فلم يرو البخاري إلا مسائل قليلة، وهي كما رأينا لا تتجاوز بضع مسائل في المتشابه ، وأوردها الطبراني

(٣) جامع البيان:٢٣/٥٣، وينظر الجامع لأحكام القرآن:١٥/٧٩ و الإتقان: ١/٣٢٧

(٤) الإتقان:١/٣٥٢

(٥) ينظر:٤/١٣٧

(٦) الإتقان: ١/١٣٢

(٧) لسان العرب لابن منظور: ٣/١٥٣

(٨) ينظر الإتقان: ١/١٣٢

في معجمه(١) ، والطبري (٢) . وهي لا تتعدى الصفحتين كما قال الذهبي(٣) ، وذكر ابن حجر العسقلاني أن البخاري لم يخرج من أحاديث ابن عباس في التفسير وغيره سوى مائتين وسبعة عشر حديثا (٤) .

٦- عرف عن ابن عباس توضيحه بعض مفردات القرآن التي جاءت بغير لهجة قريش ، من ذلك في تفسيره قوله تعالى (وانتم سامدون)(النجم: ٦١) قال : (الغناء وهي يمانية) (٥) وفي قوله تعلى (بعلا) (الصافات: ١٢٥) قال: (ربا بلغة أهل اليمن) (٦) ، وفي قوله تعالى: (في الكتاب مسطورا) (الإسراء:٥٨) قال: (مكتوبا، وهي لغة حميرية) (٧) وفي قوله تعالى: بورا) (الفرقان:١٨)،قال: (هلكن، بلغة عمان) (٨) وفي قوله تعالى: (فنقبوا) (ق:٣٦)، قال: (هربوا، بلغة اليمن) (٩) (لايلتكم) (الحجرات:١٤) ، قال لا ينقصكم ، بلغة بني عبس) (١٠) وفي قوله

---

(٩) ينظر المعجم الكبير: ١٠/٢٤٥

(١) ينظر جامع البيان:٦/٣١٠و٢٦/١٢٦و١٩/١٧٥و٢١/٢٦

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء:١/٤٨٦

(٣) ينظر مقدمة فتح الباري:٤٧٦-٤٧٧

(٤) ينظر الإتقان: ١/١٣٣ .

(٥) المصدر نفسه: ١/١٣٤ .

(٦) ينظر المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه .

تعـالى: (مـراغما) (النسـاء: ١٠٠) قال: منفسحا ، بلغة هذيل) (١) ، فبعضها ورد في مسائل نفع والبعض الآخرلم يرد.

ولم نره يستشهد ببيت شعري في التفسير في جميع المصادر التي عتمدت عـدا المسـائل، ولاننفى بكلامنا هذا احتجاجه بالشعر فى تفسيره بعض المفردات القرآنية, بل في اغلب الظن أن تفسيره بعض المفردات القرآنية واحـتجاجه بالشـعر قد سلخت عن مواضعها وجمعت في موضع واحد ورتبت هذا الترتيب المفتعل بدلا من مسائله الحقيقية.

وابـن عـباس يسـتخدم صيغ الجمع في خطابه عند حث السائلين على

[redacted]

العـرب) (٢) ، وذكـر ابـن الأنباري أن علي بن زيد بن جدعان قال: (سـمعت سـعيد بن جبير ويوسف بن حمران يقولان: سمعنا ابن عباس يسال عن الشيء بالقران فيقول: هكذا وهكذا اما سمعتم الشاعر يقول:كذا وكذا) (٣) ويبدو من ذلك أن السائل لم يكن واحداً أواثنين حسب ما ذكره رواة المسـائل فالسـائل فيهـا نافع أو هو ونجدة الحروري ، فان كان المخـاطب واحداً أو اثنين لاستخدم صيغة المفرد أو المثنى، لكن كلامه يدل دلالة قاطعة على أن المسلمين كانوا يسألونه كثيراً ، فدأبهم على سبيل إدراك مـا يشكل عليهم بالرجوع إلى لغتهم وشعرهم ، وأين الأبيات التي احتج بها في تفسيره؟

---

(١٠)المصدر نفسه .

(١)إيضاح الوقف والابتداء : ٦٢/١ .

(٢)المصدر نفسه: ٦٢/١ والجامع لأحكام القرآن : ٢٤/١ .

٧- أغـلب المفردات ليست غريبة على ابن عباس كي يحرجه نافع عند سـؤاله عنها، والكثير منها جاءت في أحاديث للنبي(صلى الله عليه وآله) واصـحابه والدلالـة واحدة أي في الأحاديث والمسائل فأغلبها من اللغة المشتركة بين القبائل، أما المفردات التي تعود إلى قبائل غير قريش فهي قليـلة فـي تفسـيره ونسبها إلى قبائلها، فمن المفردات التي وردت في المسائل (الغسق) جاءت في أحاديث للرسول(صلى الله عليه وآله) وعائشة وأبـي بكـر وعمر(١) ، و(يحور) في حديث لعائشة(٢) ، و(زعيم) في حديـث للنـبي(صلى الله عليه وآله(٣) ، و(استو سق) في حديثين للنبي (صـلى الله عـليه وآلـه) (٤) ، و(كظم) في حديثين (٥) ، و(إثم) في أحـاديث كثيرة (٦) ،وكذلك احتجاجه بشعر عمر بن أبي ربيعه وحسان بـن ثابت، فاغلب الألفاظ معروفة في البيئة الحجازية، والبعض الآخر معروف عند الأدباء والشعراء ، وابن عباس وابن الأزرق أعلى شأناً من الكثير من الشعراء في العلم والإطلاع على لغات العرب فكيف يُسأل عنه تعنتاً لإفهما ونافع أدرى بثقافة ابن عبس اللغوية والأدبية؟

الخاتمـة:

---

(٣)ينظر لسان العرب:١/٢٨٨

(٤) ينظر المصدر نفسه:٤/٢١٧

(٥) ينظر المصدر نفسه:٧/١٥٢

(٦) ينظر المصدر نفسه

(٧)ينظر المصدر نفسه:٣/٤٤٢

(٨)ينظر المصدر نفسه:٢/٥

بدأ تفسير غريب القرآن الكريم في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وتابعه الصحابة في ذلك،وبرع منهم ابن عباس ، وكان أبرزهم؛ لما يمتلكه من ثقافة لغوية وذوق أدبي رفيع .

واشهر ما نسب إليه فيه (مسائل نافع بن الأزرق) ، وقد بدت فيها علائم الصنعة والتكلف،وابرز الدلائل التي تؤكد ذلك:

١-ان نافع بن الأزرق كان فقيه قومه وسؤاله لابن عباس كان تعنتاً لافهما.

٢-المسائل التي رواها البخاري لاتتجاوز الصفحتين وهي مسائل في المحكم والمتشابه والتأويل لافي الغريب كالذي نجده في المسائل التي حوت (٢٥٠)مسألة.

٣- الخلط بين الروايات ، ونسبة ماللاخرين إلى ابن عباس ونافع بن الأزرق.

٤-كثرة الوضع لتصريف بضاعة الوضاعين، أو لاغراض سياسية ، ولم يرو البخاري لابن عباس غير مئتين وسبعة عشر حديثاً في التفسير وغيره فكيف وصلت إلى (٢٥٠) مسألة في الغريب وحده؟

٥-تناقض المعلومة واختلاف المعنى في المسألة الواحدة عند الرواة.

٦-اشتهرا بن عباس بشرح بعض المفردات القرآنية ونسبتها إلى قبائلها للمسلمين ويستخدم صيغة الجمع في خطابه ولم تشر جميع المصادر إلى انه خاطب نافع بن الأزرق فيها وبعضها ورد في المسائل والبعض الآخر لم يرد، وما ورد منها في المسائل قد احتج لها بالشعر.

٧-اغلب المفردات في المسائل ليست غريبة على بيئة ابن عباس والكثير منها جاء في احاديث للرسول(صلى الله عليه وآله)و الصحابة.

والشعر العربي متداول بين القبائل العربية والكثير منهم حفظة ورواة له، فمن غير المعقول أن مثل ابن عباس ونافع بن الأزرق يخفى عليهما الشعر، واللغة العربية النموذجية المستخدمة فيه، وهي اللغة الموحدة المعروفة عند المثقفين من العرب حينذاك.

لذا يمكننا القول ان المسائل استلت من تفسير ابن عباس وشرحه لألفاظ القرآن ونظمت على شكل أسئلة وبالصورة التي رواها السيوطي ونسبت إلى نافع بن الأزرق ، والله اسأل التوفيق .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الإتقان في علوم القرآن-جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) المكتبة الثقافية- بيروت ١٩٧٣.

٣ أسد الغابة- بن الأثير (ت٦٣٠ هـ)- انتشارات اسماعيليان- طهران

٤- الاصابة في تمييز الصحابة-ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ هـ)- تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود ط١-١٤١٥ هـ- دار الكتب العلمية-بيروت.

٥- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء-دار المعارف بمصر

٦- الاعلام-خير الدين الزركلي (ت-١٤١٠هـ)-مطبعة دار العلم للملايين-بيروت-ط٥.

٧- الأغاني- أبو الفرج الأصبهاني- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٧١هـ.

٨- إيضاح الوقف والأبتداء-أبو بكر بن الأنباري- دمشق-١٩٧١م.
٩- بحار الأنوار-محمد باقر المجلسي(ت ١١١١ هـ)-مؤسسة الوفاء-ط٢- بيروت-١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.
١٠- تاريخ بغداد أو مدينة السلام- ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) تحقيق
مصطفى عبد القادر عطا-ط١- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٧هـ.
١١- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي(ت ٨٧٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة-الشيخ علي محمد معوض-الشيخ عادل أحمد عبد الموجود-دار إحياء التراث العربي-ط١-١٤١٨هـ
١٢- تفسير القرآن الكريم-أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)- دار المعرفة-بيروت-١٤١٢ هـ .
١٣- تهذيب التهذيب-ابن حجر لعسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)-ط ١١- دار الفكر-١٤٠٤. ١٤-لتوحيد- الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)- تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني-ط١- جماعة المدرسين-قم- ١٣٨٧ هـ.
١٥-جامع البيان عن تأويل آي القرآن-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)-ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار-دار الفكر- بيروت ١٤١٥ هـ.
١٦- الجامع لاحكام القرآن-أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ)- ١٤٠٥ هـ -دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٧- الدر المنثور وبهامشه تفسير بن عباس- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)-ط١- مطبعة الفتح-جدة-١٣٦٥ هـ.

١٨- روضة الواعظين-محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)- تحقيق السيد محمد مهدي السيد حسن الخرساني-منشورات الرضي-قم-ايران.

١٩- سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس-تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي-مستل من جملة(رسالة الإسلام)- العددان الخامس والسادس- السنة الثانية

٢٠- سبل السلام-الإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني (ت ١١٨٢ هـ)- ط٤ مطبعة البابي الحلبي وأولاده-مصر-١٣٧٩ هـ.

٢١ - سير أعلام النبلاء- الذهبي(٧٤٨ هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط -- حسين الأسد-ط٩-مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤١٣ هـ.

٢٢- شرح نهج البلاغة- ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦ هـ)-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية-بيروت.

٢٣- صحيح البخاري-محمد ابن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦ هـ)- دار الفكر-بيروت

٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري-الإمام ابن حجر العسقلاني-(ت ٨٥٢ هـ)- مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت- ط٢

٢٥ قاموس الرجال-محمد تقي التستري- مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي-جماعة المدرسين-قم.

٢٦- الكافي-الشيخ الكليني(ت ٣٢٩ هـ)-تحقيق علي اكبر غفاري- مطبعة الحيدري ط٢-١٣٨٨ هـ.

٢٧- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في التفسير -احمد بن عبدالحليم بن تيميـــة(٦٦١ ٧٢٨ ه) -تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم النجدي - مكتبة ابن تيمية .

٢٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- جار الله محمـــود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـــ) مطبعة البابي الحلبي- القاهرة-١٩٧٢.

٢٩- كشـــف الخفـــاء ومـــزيل الإلـــباس-إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي(ت ١١٦٢ هـــ) ط٢-١٤٠٨ هـــ.

٣٠- لسان العرب-ابن منظور (ت ٧١١هـــ)- ط١- دار إحياء التراث العربي-١٤٠٥ هـــ.

٣١- مذاهـــب التفسير الإســـلامي، اجنـــتس جولدتسيهر-مكتبةالخانجي- مصر- ١٣٧٢ه -١٩٥٥م.

٣٢- مستدرك الحاكم- محمد بن محمد الحاكم النيسابوري(ت ٤٠٥هـــ)- تحقيق الدكتور يوسف المرعشي-دار المعرفة-بيروت-١٤٠٦ هـــ.

٣٣- المصـــنف- عـــبد الـــرزاق الصنعاني(ت٢١١ هـــ)-تحقيق حبيب الـــــــــرحمن الأعظمـــــــــي- المجـــــــــلس العـــــــــلمي

٣٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن - امين الاسلام ابو علي الفضل بن الحســـن الطبرســـي (ت ٥٦٠ ه) - تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين - ط١ - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤١٥ ه .

٣٥- معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري-محمد فواد عبد الباقي دار المعرفة للطباعة والنشر-ط٢-بيروت.